وبعد فقد خرج الإمام أحمد والنسائي من حديث عمار بن ياسر ﷺ أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداه مهتدين.

اعلم أن الحاجات التي يطلبها العبد من الله عزوجل نوعان:

أحدهما: ما علم أنه خير محض كسؤاله خشيته الله تعالى وطاعته وتقواه، وسؤاله الجنة، والاستعاذة من النار، فهذا يطلب من الله تعالى بغير تردد، ولا تعليق بالعلم؛ لأنه خير محض، ومصلحة خالصة.

النوع الثاني: ما لا يعلم هل هو خير للعبد أم لا، كالموت والحياة، وكسائر حوائج الدنيا التي تجهل عواقبها، فهذه لا ينبغي أن يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخيرة للعبد، فإن العبد جاهل بعواقب الأمور، ولهذا شرعت الاستخارة، وأن يقول الداعي في استخارته: «**اللهم أستخيرك بعلمك،**

وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، ثم يقول: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر -ويسميه باسمه- خيراً لي في ديني ودنياي»

وكذلك في هذا الدعاء يسأل الله بعلمه الغيب وقدرته على الخلق ما يعلم له فيه الخيرة من موت أو حياة.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لابد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**».

وللبخاري: «**ولا يتمنى أحدكم الموت: إما محسناً فلعله أن يزداد، وإما مسيئاً فلعله إن يستعتب**».

ولمسلم: «**لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**».

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بفضيلة طول العمر في الطاعة ففي الترمذي: أنه ﷺ سئل: أي الناس خير؟ قال: «**من طال عمره وحسن عمله**». وسئل: أي الناس شر؟ قال: «**من طال عمره وساء عمله**».

وأما تمني الموت خشية الفتنة في الدين، فهذا جائز عند أكثر العلماء، لقول

النبي ﷺ: «**وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**»، وقد تمناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في آخر حجة حجها فإنه قال: «اللهم إنه قد كبرت سني ورق عظمي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفتون» فقتل في ذلك الشهر رضي الله عنه وأرضاه.أخرجه مالك في الموطأ

وفي المسند عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ قال: «**اثنتان يكرهما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**».

فينبغي للمؤمن أن يكون طول عمره زيادة في الخير، كما في صحيح

مسلم عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «**واجعل الحياة زيادة لي في كل خير**».

قوله ﷺ: «**أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى**»:

هذه الثلاث المنجيات التي رويت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات**» فذكر المنجيات هذه الخصال الثلاث، والمهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

فأما خشية الله في الغيب والشهادة؛ فإن أكثر الناس يرى أنه يخشى الله في العلانية وفي الشهادة، ولكن الشأن في خشيته الله في الغيب إذا غاب عن

أعين الناس، وقد مدح الله من يخافه بالغيب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ ﴾ [المائدة: ٩٤]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك].

ومن هنا عظم ثواب من أطاع الله سراً بينه وبينه، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا

تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة].

قال بعض السلف: أخفوا لله العمل فأخفى لهم الجزاء.

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**».

وكذلك عظم ثواب من ترك المحرمات التي يقدر عليها سراً، كقوله ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين**».

وأما كلمة الحق في الغضب والرضا:

فعزيز جداً، وقد مدح الله من يغفر عند غضبه فقال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى]، لأن الغضب يحمل صاحبه على أن يقول غير الحق، فمن كان لا يقول إلا الحق في الغضب والرضا، دل ذلك على شدة إيمانه وأنه يملك نفسه.

فهذا هو الشديد حقاً كما قال النبي ﷺ: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

وأما القصد في الفقر والغنى:

فهو حال الرسول ﷺ، كان مقتصداً في حال فقره وغناه.

والقصد: هو التوسط في الإنفاق، كما أدب الله تعالى نبيه بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

فالاقتصاد في كل الأمور حسن حتى في العبادة، ولهذا نهى النبي ﷺ عن

التشديد في العبادة على النفس، وأمر بالاقتصاد فيها، وقال ﷺ: «**عليكم هدياً قاصداً، فإن الله لا يمل حتى تملوا**».

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أحسن القصد في الغنى، وما أحسن القصد في الفقر، وما أحسن القصد في العبادة**»رواه البزار.

قوله ﷺ: «**وأسألك نعيماً لا ينفد**»:

النعيم الذي لا ينفد هو نعيم الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

[ص].

وسمع النبي ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ليلة وهو يقول: أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. فقال: «**سل تعطه**».

وأما نعيم الدنيا فهو نافد، كما أن الدنيا كلها نافدة، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء].

وإذا غمس أنعم الناس كان في الدنيا في العذاب غمسة قيل له: هل مر

بك نعيم قط؟ فيقول: لا يا رب.

قوله ﷺ: «**وقرة عين لا تنقطع**»:

قرة العين من جملة النعيم، فمن قرت عينه بالدنيا: فقرةُ عينه منقطعة، فلا تقر عين المؤمن في الدنيا إلا بالله عز وجل، وذكره ومحبته والأنس به، قال ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

فمن قرت عينه بالله، فقد حصلت له قرة العين التي لا تنقطع في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله ﷺ: «**وأسألك الرضا بعد القضاء**»:

الرضا بعد القضاء مقام عظيم، من حصل له فقد رضي الله عنه، كما قال ﷺ: «**من رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»، وأكثر المسلمين إنما هم في مقام الصبر.

قوله ﷺ: «**وبرد العيش بعد الموت**»:

هذا يدل على أن العيش وطيبه وبرده، إنما هو بعد الموت، فإن العيش قبل الموت منغص، ولو لم يكن له منغص غير الموت لكفى.

فحينئذ فلا عيش يطيب إلا بعد الموت، وهو عيش من أمن من عذاب الله عزوجل، ووصل إلى ثوابه، وكان النبي ﷺ يقول لما حفر الخندق وجهد

هو وأصحابه في حفره:

اللـهم لا عـيش إلا عـيش الآخـرة ❊❊❊ فـاغفر للأنـصار والمهـاجرة

الخطبة الثانية:

قوله ﷺ: «**وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»:

فإن أعلى ما في الآخرة النظر إلى وجه الله عزوجل، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، نادى منادٍ: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه.**

فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تثقل موازيننا، ألم تدخلنا الجنة وتزحزحنا عن النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئاً هو

أحب إليهم، ولا أقر لأعينهم من النظر إليه، وهو الزيادة ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]».

وقوله ﷺ: «**اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**»:

أما زينة الإيمان، فالإيمان قول وعمل ونية، فزينة الإيمان تشمل زينة القلب بتحقق الإيمان له، وزينة اللسان بأقوال الإيمان، وزينة الجوارح بأعمال الإيمان، وقد سمى الله تعالى التقوى لباس، وأخبر أنها خير من لباس الأبدان، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

ومن زين لله جوارحه بالأعمال وقلبه بحقيقة الإيمان، زينه الله في الدنيا والآخرة كما في الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

وقوله ﷺ: «**واجعلنا هداة مهتدين**»:

يعني نهدي غيرنا ونهتدي في أنفسنا، هذه أفضل الدرجات: أن يكون العبد هادياً مهدياً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**» وقال: «**من دعى إلى هدى كان له مثل أجر من تبعه، من**

غير أن ينقص من أجورهم شيء».

اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينا ما علمت الحياة خيراً لنا، وتوفنا إذا علمت الوفاة خيراً لنا، اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الفقر والغنى، ونسألك نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ونسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداه مهتدين.□